بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لانبى بعده

وبعــد :

كفى تطاولا وتطرفا فى الاتهام

مرة أخرى تتزايد وتتطاول معاول الهدم والتخريب والتحريض لتصل حدا لا أظنه إلا تعريضا لاذعا بالسيد الأفغانى ، وتهويشا فادحا لأفكاره الإسلامية ، وإساءة فاضحة لرموزه الدينية ، وتهديما مقصودا للأعمدة الشامخة التى تحمل مشاعل فكره ومنهجه وسلوكه . وقد كنت بالطبع متابعا للحملات العنيفة والهجمات الشائنة التى نشرتها مجلة التضامن التى تصدر فى لندن بالعربية ابتداء من إبريـل ١٩٨٣م والتى صب فيها الدكتور لويس عوض ومن سار على دربه جام غضبه المر على هذا المصلح الثائر جمال الدين الأفغانى الذى طارده أعداء الإسلام حيا وميتا ، كما كنت متابعا بالطبع للردود الموضوعية الهادفة الهادئة التى نشرتها صحيفة الأهرام القاهرية – مشكورة – حول قضية فكر السيد الأفغانى ، وحول أفغانيته وماسونيته المزعومة ابتداء من ٢٩ أغسطس وحتى ١٧ أكتوبر ١٩٨٣م اشترك فيها عدد من خيرة العلماء والمؤرخين والكتاب فى مصر بعنوان « الأفغانى بين الحقيقة والافتراء » كذلك تابعت بدقة وبلهفة ما نشرته – مشكورة – صحيفة الشرق الأوسط العربية فى صفحة « ملفات الشرق الأوسط » من الجدال المتزن الهادف ، والنقاش الموضوعى الهادئ حول الأفغانى وفكره ، وحول كونه أفغانيا أو إيرانيا ، وحول موضوع عضويته فى أحد المحافل الماسونية ، وقد اشترك فى هذا النقاش الهادئ والجدل الهادف عدد كبير من المفكرين فى العالم الإسلامى والعربى مشرقه ومغربه .

وبعيدا عن التطرف والتعصب ، وبعيدا عن الانقياد والانحياز إلى جانب معين من الجوانب الفكرية والعلمية أقول : إن الدكتور لويس عوض قد حاول

فيما كتبه عن الأفغانى ارتداء لباس الموضوعية والمنطقية وإشهار سيف الحقيقة والحرص عليه على طريقة السم فى الدسم ، وتحت هذا الغطاء فسر الأمور والحقائق على طريقة من يؤمن بولائهم فى الغرب بمعنى أنه من أجل الإيغال فى إدانة الأفغانى اكتفى عمدا بالنقاط والآراء التى وردت فى تقارير المخابرات والجواسيس والتى تؤيده دون الإشارة إلى سلسلة طويلة من المصادر الوثيقة التى تخالفه ومن هنا – على ما أعتقد – جاء جهد الأهرام ، ثم جهد الشرق الأوسط فى الرد عليه لاستجلاء الحقيقة .

عرضت كل من صحيفتى الأهرام والشرق الأوسط جملة من الدراسات والتحقيقات الخاصة بفكر الأفغانى ، وقد هدفتا أساسا تقويم فكر الأفغانى وتقديره ، والوصول إلى منهجه الثورى الأصيل بغية تقديمه إلى القراء ، وبالذات إلى الوعى الإسلامى بغرض ربطه بالأصالة الفكرية ، وبسالف أمجاد المعرفة الإسلامية وبخصائص الهوية المطابقة للكتاب والسنة .

فمن جملة انتقادات وغمار سجال عشنا معه من خلال دراسات الباحثين والمفكرين المعاصرين فى مجلة التضامن اللندنية ، وعلى صفحات جريدة الأهرام القاهرية وعلى صفحات جريدة الشرق الأوسط السعودية وقفنا على حقيقة مفادها أن البلبلة وزعزعة الثقة بالخصائص الفكرية لحركة الأفغانى الإسلامية وبالتالى لخصائص المعرفة الإسلامية وتمسخ الشخصية الإسلامية هى الاستراتيجية التى يسير عليها الدكتور لويس عوض ومن يسير على نهجه من بعض الكتاب الضيقى الأفق أصحاب العقليات التبعية المتخلفة المترسبة فى كياننا الثقافى والفكرى .

لقد انصب النقد والتجريح فى مقالات الدكتور لويس عوض على السيد الأفغانى وكأن الإشكال فى أمر محصوله الفكرى هو ما خلفه هذا المفكر المسلم الذى قضى حياته بصدد إحياء التراث العربى والمنهج الإسلامى فى التفكير ، ليس الإشكال فى منهج هذا المفكر وما يدعو إليه من الأفكار الإسلامية ، وإنما الإشكال فى الدكتور لويس عوض نفسه .. فى عقده النفسية التى تنطوى على عداوة للفكر الإسلامى عامة .. ليس الإشكال فيما خلفه الأفغانى من

الإنتاجات الفكرية الإسلامية طيلة حياته وحياة تلاميذه ، وتلاميذ مدرسته الفكرية وما تولده عن التفاعلات الفكرية والاجتماعية والسياسية وإنما الإشكال فى مدلولية الفكر العدائى الذى يحمله لويس عوض بالنسبة للإسلام ومن ينتمى إليه من المفكرين ، وعلاقة هؤلاء بالوعى الإسلامى ، هذا هو الوادى الذى يهيم فيه فكره وعقله وثقافته ، فيه انزلق بعد الوقوع فى الزلل والمغالطة بإيمانه بالحضارة الغربية وبالفكر الغربى ، إن هذا الأساس هو الغائب عن الذين يسيرون خلفه ، إن هذا الالتزام هو الذى يسيره ويسير من يسير على نهجه فى مسايرة العقلانية الغربية أو مواكبتها .

دعوة ضالة ، وفهم مغلوط ، وطريقة مضللة .. تلك التى سار ويسير عليها الدكتور لويس عوض فى عرضه لحركة الأفغانى ، ولغيرها من الأفكار الإسلامية والعربية وهذا ما طرحته الأهرام والشرق الأوسط على بساط المناقشة والمساجلة مع بعض المهتمين بدراسة الفكر الإسلامى لهذا المفكر الثائر على النهج الإسلامى ذلك لأن داعى التغريب الدكتور لويس عوض قد أثار عديدا من التساؤلات عن الثائر الأفغانى فى بحثه عنه المنشور فى مجلة التضامن ، وهى تساؤلات على درجة من الخطورة والأهمية وبخاصة أننا نعلم موقف الرجل من الدراسات الفكرية فى الإسلام فى العصر الحديث وبالذات حول المفكر الثائر السيد الأفغانى الذى أثار حوله العديد من المساجلات التشككية على طريقته الملتوية بمحاولة النبش فى محفوظات المخابرات وتقارير الجواسيس والسفارات الأجنبية .

كان على هذا الدساس أن يبتعد عن نقد الفكر الإسلامى للأفغانى الذى أحدث انقلابا منهجيا فى الحياة الثقافية والعلمية والسياسية . إن العلم المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى ، وقليل النفع ، بل عديم الفائدة ، والدكتور لويس عوض ليس من المتصفين بالعلم الإسلامى .. ليس له مجال هنا ، بل مجاله هناك فى الدعوة إلى التغريب والدعوة إلى الصليبية والدفاع عنها . إن مطلب عمل الفكر والنقد فى الإسلام مشروط بالاتصافية العلمية .. بالاتصافية الصادقة المخلصة ، وبالممارسة والتذوق العملى .. تذوق الفعل والممارسة والتعلق به تعلقا صادقا بعيدا عن الأهواء ، ثم توجيه النقد إليه إن كان هناك ما يستدعى ذلك ..

إن كان هناك مجال لتوجيه النقد البناء بعيدا عن الطائفية والأهواء الغربية والصليبية . إن الذى غاب عن ناقد بل شاتم العقل الإسلامى فى فكر الأفغانى هو مدلول وسائل النقد والمعرفة . إن الجهد الجهيد ، ووفرة التنظير والتمثيل ، والنبش فى القبور ، وكثرة الكتابات الانتقادية الادعائية لا تجدى نفعا فى مثل هذه الأحوال .

إن المفكر الإسلامى السيد جمال الدين الأفغانى هو الذى وضع الجذور الحقيقة للإحياء الإسلامى فى الوقت الذى كانت الشعوب الإسلامية تعيش فى ظل الاحتلال الفكرى و لم تكن للثقافة الإسلامية موضوعات ذات بال ، فشرع يعرض ببصيرته حركته العقلية والفكرية ، ويبرز خصائص الحضارة الإسلامية بما تحتوى من فكر وعقل وأدب ، وكان رائده فى ذلك الفكر الإسلامى الأصيل والجامعة الإسلامية ، ونهضة الشعوب الإسلامية . وقد بالغ فى إبراز الخصائص العقلية والأدبية فى الحضارة الإسلامية ، كما آمن إيمانا قويا راسخا بالوحدة الإسلامية .

إن المجدد الإسلامى والمصلح السياسى والفيلسوف الاجتماعى السيد جمال الدين الأفغانى الذى ظهر والأمة الإسلامية وشعوبها المتفرقة تركة رجل يوشك أن يلفظ أنفاسه ، ويقتسم ميراثه ، وأصبح العالم الإسلامى فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر على وشك تمزيق أوصاله والاستيلاء على أجزائه ، فحمل مشعل اليقظة والإصلاح والتنوير ، وأيقظ الشعوب ونفخ فيها روح النهضة الإصلاحية فى الدين والاجتماع والفكر والسياسة ، وجال فى أنحاء الأرض ينتر بذور الإصلاح ، ويلهب المشاعر ، ويثير الوعى الإسلامى ويطالب بنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية لغة الفكر الإسلامى لتكون لغة الزعامة الإسلامية .. وقد منحه الله قوة الشخصية ، والقدرة على التوجيه ، والفهم للأفكار السائدة فى المجتمع ، والثقة الكاملة بالنفس ، وإنكار الذات ، والقوة على الدفع ، هذه الأوصاف كانت تؤهله للزعامة فى المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية .

إن السيد الأفغانى فيلسوف اليقظة الإسلامية والشرقية فى الفكر والسياسة كان من أبرز زعماء الإصلاح فى العالم ، ومن أبرز الذين رفعوا راية الإسلام

فى الخافقين ، ولقد أعطى بذلك المقاومة للاستعمار طابعا ثوريا قويا ، وفتح الأبواب أمام العودة إلى مفهوم الإسلام ، وكان الأسلوب القرآنى والأصولية النبوية منطلقه الأساسى لكل حركاته الإصلاحية فى الفكر والسياسة والاجتماع .. هذا هو الذى أزعج لويس وغير لويس .

إن الأفغانى رفض رفضا مطلقا أى نوع من المصالحة مع الاستعمار وأعوانه ، وقد ركز فى ذلك على البعد الإسلامى دون البعد القومى الضيق ، كان قوى الاعتماد على الله لا يبالى ما يأتى به الدهر ، لايهاب الموت كأنه لا يعرفه .. جاهد وناضل وكافح وأثار الكراهية ضد الاستعمار والاستبداد والطغيان .

وعلى الرغم من أهمية فكر الأفغانى وأثره فى الإصلاح والتنوير وإيقاظ الشعوب الإسلامية والشرقية .. وعلى الرغم من أن عددا كبيرا من المفكرين والكتاب والمؤلفين فى الشرق والغرب قد قاموا بدراسة فكر الأفغانى إلا أنه قد تعرض لبعض الانتقادات فى كتابات بعض المفكرين وقد استغلوا فى ذلك بعض أخطائه وزلاته التى ضخموها بظنونهم ، وهولوها بأوهامهم ليشوهوا صورته وصورة فكره وما يدعو إليه من اليقظة الفكرية ، والنهضة السياسية والوحدة الإسلامية ..

ولا أدعى أن السيد جمال الدين الأفغانى فوق النقد ، فهو بشر يخطئ ويصيب فى الاجتهاد .. يخفق فى اجتهاده فى موضوعات ويوفق فى أخرى .. لاشك أن له أخطاءه – كغيره من المجتهدين – فى الرأى والتقدير والاجتهاد ، وليس هناك بشر معصوم من السهو والخطأ ومن الزلة والوقوع فى الغلط غير الأنبياء .

ولقد تعرض الأفغانى رحمه الله وهو واحد من أبرز الشخصيات فى التاريخ الإسلامى فى العصر الحديث ، وأكثرهم إثارة وإنارة وحيوية لنقد ذوى القربى من بعض العلماء الرسميين المتجمدين الأمر الذى أعطى السلاح لأعداء الزعامة الإسلامية ، فكان من الطبيعى أن تنطلق الأبواق الخادعة لتطعن فى عقيدة الأفغانى وعلمه ومكانته الاجتماعية وزعامته السياسية ، وهذا الدكتور لويس عوض يصب جام غضبه على هذا الثائر الإسلامى ، ويصفه بكل الموبقات ،

ويسلب منه كل المحاسن والمحامد لحاجة فى نفسه ، وموقفه من كل ما يتصل بالإسلام والزعامة الإسلامية ، وفى هذا الموقف هدف ، ومن ورائه أهداف وأهداف ، والوقوف عند هذا الموقف والسكوت على هذا الهدف أو الأهداف خيانة علمية ودينية وتاريخية ، ذلك لأن السيد جمال الدين الأفغانى يعد بحق ودون منازع من الرواد الإسلاميين الأوائل فى النهضة الإسلامية ، ومن المجاهدين الأبطال الذين رفعوا شأن البلاد الإسلامية والشرقية وخاصة شأن أفغانستان ومصر ، وعملوا على توحيد الكلمة لتحقيق الهدف الذى أراد لويس عوض هدمه بهدفه فى نفسه ، لذلك فقد رأى المفكرون فى البلاد العربية وفى مصر بخاصة توضيح الحقائق فى مقالات وبحوث تفضلت صحيفة الأهرام القاهرية مشكورة بنشرها فى الفترة بين ٢٩ أغسطس عام ١٩٨٣م و١٧ أكتوبر سنة ١٩٨٣م كامر ، ثم تفضلت صحيفة الشرق الأوسط السعودية مشكورة بنشر بحوث ومقالات أخرى فى الفترة بين ١٨ مارس سنة ١٩٨٩م، و ٣١ مايو سنة ١٩٨٩م، وهى بادرة جادة وطيبة نشكر عليها الصحيفتين العربيتين الكبيرتين اللتين عودتا القراء على تقديم كل ما هو مفيد جاد ، وطيب نافع فى هذا الشأن لخير هذه الأمة ولزعامتها الإسلامية ، ولثقافتها التاريخية .

ولقد رأيت إتماما للفائدة أن أقوم بجمع وترتيب هذه الأبحاث ثم طبعها ونشرها ليسهل الرجوع إليها والاستفادة منها لكل من أراد معرفة حقيقة هذا المصلح الكبير فى فكره وموطنه ونشأته . وأرجو الله وحده أن تكون فى هذه البحوث القيمة الدامغة ، والدراسات التاريخية الموثوقة لهذه النخبة المختارة من المفكرين الصادقين العلماء ما يوضح الحقيقة ، ويدفع الافترء ، ويرفع الظلم ، ويحفز الهمم إلى الاقتداء به والسير الحثيث على سننه . وفيما يلى ما نشرته الأهرام ، وما نشرته الشرق الأوسط من المداولات الفكرية حول الفكر الإسلامى فى فكر الأفغانى راجيا منه تعالى أن يجعل هذا العمل من الأعمال المقبولة لديه .

الدكتور محمد أمان خان صافى الأفغانى

السليمانية بجدة

يوم الأحد

١٢ المحرم ١٤١٠هـ = ٢٢ أسد ١٣٦٨هـ ش = ١٣ أغسطس ١٩٨٩م